



عبدالله بن عربي

■ عندما تختفي شجرة من مكانها، أو حتى جدار صلد كنت تمر عليه بشكل يومي فتراها خاشعا ثم يختفي على نحو مباغت، فانك تصطدم بهذا الفقد للوهلة الأولى، وكأن دلاء باردة قد نضحت فوق قمة رأسك المبهوت في تلك اللحظة الفاصلة.

**

الجلوس على حافة الرصيف، ومشاهدة غليان البشر في تسيارهم وجريانهم خلف أشيائهم الخاصة، يكون أحيانا خير مخلص من شوائب داهمت القلب وملأته كآبة.

**

صباح الأريعاء صباح يختلف عن نظرائه من الصباحات الفائتة. ختام أسبوع من الروتين الثقيل، أفكر بصيرنا بحالنا لو لم تكن هناك أربعاء، لو لم يكن هناك قرص بنادول يقمع هذا الصداق الذي يهطل على رأس المدينة كل يوم.

** بعيد الغروب على حافة الطريق المضرج بالجزلة وحيث أشجار السمر تعيش بهاءها المطلق، وفوق هذا الإسفلت الرابط بين الجامعة والبلدة المجاورة يقف هندي - في الغالب - منتظرا - في الغالب أيضا - سيارة أجرة، تطول وقفته، يخيل إلي أنه يتذمر في دخيلته من الأقدار العاتية التي تعثر بها ذات عجز. في الغالب أيضا. لتقفه على هذه القارعة، وما أدراك ما القارعة!

تري هل خطر على بال هذا الرجل للحظة بأن سيارة خاصة تقودها فتاة ستوقف له وتدعوه للركوب؟! *

**

في الصباح المسالم. أو الذي ظننته كذلك. أفتح الإذاعة أسمع: حيث لقي أربعة عناصر حتفهم في انفجار شمال..... يا إلهي حتى العناصر فاجأها الحتف وهي في غمرة عنفوانها وحيويتها.

**

في المحكمة انتصب المدعى عليه قابضاً على

تلابيب مبادئه وفرضياته، متكناً على صكوكه المدونة بحبر الأجداد وحنكتهم السادرة. انتصب وبرهن على براءة ساحته برمتها. بينما الحق يتوارى تحت منضدة القاضي مقهقهة بنواجز ناصعة.

**

الأرض بعد زخات المطر الأخيرة تبدو أكثر جده، أكثر ألقا وأحد بهاء. حتى الجبال الصلدة تغادرها وحشتها الكاسرة لتزورها ألفة أسرة. وثمة رائحة بدائية تتفجر من الأقباص، تفسوح من الأشياء جميعها، الأشياء التي غسلها المطر فأزال عتمتها الداجية.

هي الآن تحت رحمة هذا الماء المثال من عل، الهاطل من بين يدي الله. الأشياء الآن فرحة وتتفتح في جلال. وكأني بها تنادي: تبكي السماء.. تضحك الأرض!

as_baniarabah@hotmail.com



TUESDAY 9 FEBRUARY 2010

الثلاثاء ٢٤ من صفر ١٤٣١ هـ الموافق ٩ من فبراير ٢٠١٠ م

وجوه وظلال (١١)

فلاسفة

مختارات - صالح العامري *



هذا

إن كانوا يفكرون بدل أن يقبلوا!

ت. عادل قرشولي

هل كان الشاعر اليوناني كفافيس، يعني الفلاسفة حين قال: ...أحياناً، في ساعات التأمل

الأعمق:

تشعر أذنيهم بالاضطراب وكأن الأصوات الغريبة تأتي من أشياء قريبة، فينصتون بشغف.

بينما لا يسمع أناس الشارع، في الخارج، أي صوت.

جبران خليل جبران والفلاسفة:

عندما لا تجد الحياة مغنياً يتغنى بقلبه، تلد فيلسوفاً يتكلم بقلبه.

قال فيلسوف لكناش الشوارع: إنني أشفق عليك لأن عمك مضحك قذر. فأجاب كناش الشوارع قائلاً: أشكرك يا سيدي، ولكن قل لي ما هو عملك؟ فأجاب الفيلسوف متبجحاً: إنني أدرس أخلاق الناس وطبائعهم وأبحث في أعمالهم ومنازعاتهم.

فضحك كناش الشوارع، وسار في عمله، قائلاً للفيلسوف: يا مسكين! يا مسكين! ...

رأيت في مساء الأمس فلاسفة يحملون رؤوسهم في سلال، ويطوفون في ساحات المدينة، وهم ينادون بأعلى الصوت: الحكمة! الحكمة للبيع!

مساكين الفلاسفة! فهم يبيعون رؤوسهم ليطعموا قلوبهم.

من يوميات غسان كنفاني:

العاشر من يناير ١٩٦٠: أمس، توفي الفيلسوف/ ألبير كامو. صاحب فلسفة العبث، مات في موقف عبث. وأي رثاء له نوع من العبث ليس غير. لقد انتهى، وعليه أن يقنع بحياة عاشها عريضة، وإن لم يستطع أن يجعلها طويلة. ■

* كاتب عماني

يقول الفيلسوف الألماني هيجل: "إن الفلسفة غير مفيدة إطلاقاً، وغير مثمرة بالنسبة لأي كان، ولأجل هذا العدم بالتحديد: هي الهدف الأسمى، ذلك الذي يستحق جهودنا أكثر من أي شيء آخر، الأكثر جدارة بالتوجه إليه".

يظن الكاتب الأميركي إدجار آلان بو بأن المقطع السابق، أو ما أسماه الركام، ألهمه إياه مقطع مشهور لترتوليان، وضعه بو باللاتينية.

لهيجل أيضاً: "... لكن حياة الفكر لا ترتعب أبداً أمام الموت، وليست تلك التي تعرى منه. إنها الحياة التي تتحملة وتستمر فيه".

الفيلسوف الدانمركي كيركجور طائراً:

"هناك طائر يسمى "طائر العاصفة"، وأنا هو هذا الطائر. فعندما تبدأ العواصف في التجمع يظهر الأفراد، أمثالي!".

كيركجور شجرة أيضاً: "أنا مغلق على نفسي كشجرة الصنوبر المتوحدة، متجهاً إلى ذاتي، ومتطلعاً إلى أعلى، لا ألقى حوالي ظلا، وليس ثمة سوى الخفاش: هو وحده الذي يستطيع أن يبني عشه وسط غصوني".

مجنون يبحث عن حجر الفلاسفة، لرابندرانات طاغور:

كان ثمة مجنون هيمان بسبيل البحث عن الفلاسفة، وكان أشعث، أسف الوجه مغبراً، ذا جسم هضم كالطيف في الرقة، وكانت شفتاه مضمومتين كأبواب قلبه المغلقة وعيناه متقدتين كنور القطرب المضيء يلتمس أنثاه. (القطرب: دويبة تضيء في الليل كأنها شعلة).

وكان البحر ينفخ أمامه هادراً مزرجراً.

وكانت الأمواج المثرثرة لا تأتي تتحدث عن الكون الخبيثة، وتسخر ممن يجهل ما تعنيه.

لعله كان يهيم بلا أمل، بيد أنه ظل يواصل البحث الذي أضحي جذع حياته.

إنه كالبحر اللحي الذي يعطي أيديه إلى السماء، دوماً، ليظفر بما لا يمكن الوصول إليه. إنه كالنجم التي تدور في أفلاكها وتظل تنشد هدفاً لا يمكن إدراكه البتة.

هكذا كان المجنون الأغبر الأشعث الشعر: يهيم على الشاطيء



■ عمل فني للفنان سعود الحيني

المقفر: بحثاً عن حجر الفلاسفة. ودنا منه، ذات يوم، طفل من القرية، وقال له: "كيف عثرت على هذا الزنار الذهبي الذي يطوق خصرك؟"

وارتعدت أوصال المجنون، فإن هذا الزنار المصنوع من الحديد، من قبل، تحول إلى ذهب حقيقي. أجل، لم يكن ذلك من وشي الحلم، غير أنه لم يذكر قط متى تحول الزنار الحديدي إلى ذهب.

وضرب جبينه بضراوة. أين؟؟ أه!! أين؟ لقد ظفر بطليته دون أن يدري. فقد تعود أن يلتقط الأحجار ويقدها بها زناره، ثم يرمي بها دون أن يهتم بأن يلقي نظرة إلى زناره ليرى إلى أيما تحول يطرأ عليه.

وهكذا فإن ذلك المجنون المسكين قد عثر على حجر الفلاسفة ثم أضاعه.

وكانت الشمس تغوص جانحة إلى مغربها، وكانت السماء تشع

للصورة بعدان



أمينة الربيع *

حراسة حقوق

الإنسان...

ثلاثة مفاهيم تستدعي حين يلوح في الأفق عنوان موضوع هذا الأسبوع. المفهوم الأول: "الحريات المدنية" وهي ذلك "الجانب من الحقوق المدنية الذي يحدد القطاعات التي لا تتدخل الحكومة فيها، ولا سيما، ما يتناول حرية الحديث والنشر والاجتماع والمعتقد الديني". المفهوم الثاني هو "الحرية". والحرية كمفهوم سياسي واقتصادي وفلسفي وأخلاقي عام ومجرد ذو مدلولات متعددة ومتشعبة، كل مدلول منها يحتاج إلى مستوى معين من التحديد والتعريف. ويمكن تمييز ثلاثة مستويات مختلفة في تعريف الحرية: المستوى اللغوي والعادي والمتعارف عليه. ومستوى يقع في نطلق التفكير الأخلاقي والسياسي. ومستوى الفلسفة الخاصة؛ أما المفهوم الثالث فمفهوم "حرية التعبير" وهو "حق ديمقراطي يضمن حرية المواطن في التعبير عن رأيه في كافة الأمور العامة دون التعرض لأي عقاب وهو مضمون شكلياً في أكثر الدول الديمقراطية البورجوازية وإن كانت هذه الحرية في كثير من الأحيان محصورة فعلياً بالطبقات المسيطرة أو بأجهزتها المتعددة". فما الرابط بين هذه المفاهيم؟ قد يربط بينها مثلاً مفهوم الحرية بمعناها العام. أو قد يجمعها الممارسة السياسية في مجتمع مدني حر شكلاً ومضموناً. وهذا المجتمع الحر المكفول فيه ممارسة حرية التعبير شكلاً ومضموناً، ربما يُعد من الصعب المنال تصوره على أرض الواقع، حتى وإن كانت تجربتنا في عمان لها مميزات التي نحترمها ونفخر بها. إذ لا زال أماننا الكثير لنفعله، وعلى حد قول الأستاذ الدكتور حسين غباش: "كل مجتمع مسوق بأن يفرز ديمقراطيته الخاصة به، ليوم ويستقر، ويجد لها القبول والدعم. وهذا ما نراه اليوم في التجربة العمانية في العصر الحديث، وبالتالي نحن لا نحتاج إلى استيراد أية أفكار أو نظريات سياسية من الخارج"، من هذا المنطلق في التفكير يكون أماننا المزيد من الدفع بالحوار العقلاني المستنير، حواراً يجب عليه الحفاظ على المكتسبات الوطنية التي تحققت حتى اليوم.

في ندوة الجمعية العمانية للكتاب والأدباء التي أقامتها في صالة الجمعية العمانية للفنون التشكيلية بعنوان "حوار حول حقوق الإنسان" والتي تحدث فيها سعادة السفير الهولندي (أرجان همبرجير) مشيداً فيها بالعلاقات المتكافئة بين السلطنة وهولندا، شغلني السؤال التالي: ما الوظيفة التي يمكن أن يقدمها العلم لحقوق الإنسان؟ وإلى أي مدى يمكن لأجهزة متطورة ككاميرات المراقبة وكاميرات الهواتف النقالة وأجهزة اللابتوب المتمتع بالمصادقية المطلقة من توثيقها للأحداث التي تلتقطها العدسة؟ لقد استشهد سعادة السفير بنموذج من إيران، وكيف وُظفت التقنية في تقديم صورة عن ممارسات الحق المدني هناك. لكن ما يظل عالقاً في البال وهو أمر يصعب إغفاله أنه مهما بلغت هذه التقنيات من فعالية عالية في المراقبة والضبط فلا يمكن خلوها من توظيف كل ما يمكن أن تقذف به استعمالات التخيل الذهني. ألم يذهب إدوارد سعيد في مؤلفيه "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية" إلى الدور الذي لعبه الاستشراق في عقلنة الشرق؟ إن للمخيل الذهني المكون من الانطباعات والتصورات والتمثيلات الرمزية تأثيره في توجيه نشاط أي بحث يشاء إلى حقوق الإنسان. لننظر مثلاً كيف يتم وضع صورة ما ذات حضور قوي وشديد التأثير على غلاف بروشور عرض مسرحي ما، رغم ضعف أداء صاحب الصورة؛ وإذا كانت علاقة التقنية محدودة بعض الشيء في مجال إبداعي كالعرض المسرحي مثلاً، إلا أنها في السياسة وفي العلاقات بين الدول، تؤدي الصورة الذكية دوراً خطيراً في تغيير مجرى منظومة كاملة من الاتفاقيات ومن الأعراف ومن المفاهيم. إنها حسب (جان ماري شيفر) تساوي علامة للتلقي وليست علامة للإرسال فحسب؛ وكلامه هذا ينسحب على الصورة الفوتوغرافية وكل أشكال الصور التي تمتلكها الكاميرا. إنها لحظة تتيح للنص المدون أو النص الوثيقة بالتراجع للخلف، لتصير الصورة هنا هي الوثيقة، ليبرز دور التقنية في الفصل ما بين الواقع الذي يساوي الصورة الوثيقة، وبين التخيل مضافاً إليه اللحظة التاريخية المعاصرة. كما أنها تساعد في خلق أساليب إنشاء وتحليل جديدة، وتعمق من دور التأويل لتاريخ المجتمعات ولثقافتها. فهل هناك حدود على سبيل الشاهد ليس مسموحاً بواسطتها للشركات المتعددة الجنسيات من التدخل في تسيير اتجاه حقوق الإنسان في دولة ما؟ وما مدى التأثير الذي يمكن أن تؤديه هذه الشركات في تغيير بعض سياسات دول مجلس التعاون مثلاً تجاه مساعيها الحثيثة لتكريس الحوار الحر؟ ومن جهة مقابلتها ما المبدأ الذي يجيز لبعض المنظمات أو لبعض الدول أو حتى يجيز لها كلها استعمال ثقافتها وذاكرتها المتخيلة في الحصول على المعلومة وتوظيفها تحت دعاوى حماية حقوق الإنسان المدني في التعبير؟ ألا يكلف مثلاً مؤسسة ما تأسيس القوانين بلوائحها الداخلية وشراء أجهزة الرقابة والضبط والحضور والانصراف هدر المال في مقابل أن عدد السكان أقل بكثير من تلك الأجهزة؟ يطول مجال صوغ الأسئلة التي لا يمكنها أن تتوقف في مجتمع أخذ يقرع جرس الإنذار المبكر. ■

shdageeny@yahoo.com

أريير أرت لأكوت زهرة

سهوةة لا قرما ساهقة

جبرلات خليل جبرلات

الآراء والمقالات المنشورة في الملحق لا تعبر بالضرورة عن رأي كاتبها